وكان فيها عدد من الممالك والدول خصوصا في اليمن وفي كندة والحيرة وغسان... وهناك مكة التي تحكمها قريش) (٤١). شكل العرب ما قبل الفتح العربي الإسلامي، أغلبية ملحوظة في فلسطين وشرق الأردن. فالهجرة من الجزيرة العربية استمرت تباعاً على امتداد القرون، ولم يكن العماليق أبناء إسماعيل سوى جزء من طوفان قبائلي عرفت منه قبائل تيماء، سبأ، دون، قينر، بلقين، قيدم، النبت، علاوة على الكنعانيين بتشكيلاتهم والفلسطينين. وفي مرحلة سابقة نشطت هجرة القبائل العربية المؤابية، العمونية، الأدومية، وبطون وقضاعه، اندمج كل هؤلاء في تشكيل حضاري استقر في المدن والأرياف والصحاري بما تخللته من علاقات تجارية وتحالفية ومصاهرة... ولئن كان ثمة حكم عربي خالص لفلسطين في فترة صعود مملكة الأنباط وعاصمتهم البتراء، فإن الأكاديمي خليل عثامنة يشير إلى تعاظم هجرة الأنباط إلى فلسطين بعد تحطيم البتراء على أيدي الإمبراطور الروماني تراجان في ١٠٦م.(ونتيجة ثقل الوجود العربي والثورة على الرومان والغارات على طرق القوافل اعترف الإمبراطور الروماني ديوقلتيان ٢٩٥م بزعامة العربي الكندي امرئ القيس على أجزاء واسعة من فلسطين وشرقي الأردن وحق القبائل العربية بالتوطن في فلسطين وبلاد الشام وزراعتها. على إثر ذلك شهدت فلسطين سيلاً من الهجرات العربية المتعاقبة سيما قبائل سليح، لخم،... وغسان، بل تمرد العرب في بلاد الفينيق وفلسطين بقيادة ملكة العرب ماوية في الربع الأخير من القرن الرابع للميلاد حيث أصبح العرب أغلبية على أرض فلسطين قبل الإسلام وبعده)[٤٢].

وبعد ستة قرون متتالية استنفدت الإمبراطورية الرومانية قدرتها على الاستمرار، ولم يعد لديها مقومات الاستدامة، كما أن صراعاتها الداخلية وحروبها الطاحنة مع الفرس قد استنزفتها، بما مهد لقوات الفتح العربي الإسلامي بمزاياها القتالية والعقائدية للانتصار عليها.

ويستخلص الدكتور حسين مروة في (النزعات المادية) «أن جيشاً منبته رعوي وقبلي انتصر على جيوش تنتمي لحضارة زراعية».

وببعض المجازفة يمكن القول إن نزعات قومية قد تشكلت في الجزيرة وبلاد الشام، بما يؤكده قتال قبائل كندة وجفنا والملكة ماوية ومملكة تدمر الرومان... وتاريخياً تستبق النزعة القومية الدولة القومية.

---

٤١) د. الحوت، بيان. المرجع السابق. ص٧٣، ٧٤

٤٢) د. عثامنة، خليل. خمسة قرون من الفتح الإسلامي. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٠٠ ص٦